أمي لم تتوقف عن حملات التفتيش لدى محمود وحسن وإبراهيم، عن أي ممنوعات يهملون في إخفائها، أو تسقط منهم، في إحدى حملاتها على غرفة نوم إبراهيم، وأثناء التفتيش سحبت درج الخزانة وفتشته، لم تجد فيه شيئاً، وأثناء إعادتها له خطرت لها أن تسحبه كاملاً فسحبته حتى أخرجته من الفراغ (التجويف) وإذا بعلبة كرتون صغيرة مثبتة عليه من الداخل، فتحت العلبة فوجدت فيها مسدساً، كادت أن يغمى عليها، ولكنها تداركت الأمور، ولملمت عزمها، وأخفت المسدس كيلا تراه مريم.

إبراهيم لم يكن في البيت، فبدأت تحقيقاً ميدانياً مع زوجته، أين يخفي زوجها أغراضه؟ وأين وأين وكيف؟ ومريم لا تعرف شيئاً وتبدي استغرابها من طريقة أمي في التعامل معها.

حين عاد إبراهيم للدار لم تتحدث معه عن ذلك وتعاملت بصورة طبيعية، وفي المساء سمعنا صوت صراخ على مريم، دون أن نميز ما يحدث، ولكنها حين سمعت ذلك خرجت تجري صاعدة السلالم للطابق الثاني، حين دخلت عليهما وهما يتصارخان، التفتت إليها مريم صارخة، أنا لا أدري ما يحدث هنا، أول النهار تحقق معي أمي على شيء لا أعرفه وآخر النهار يحقق معي زوجي على شيء لا أعرفه، وأنا مثل الأطرش في الزفة، هل يمكن أن أفهم ما يحدث في غرفتي؟ انفجرت باكية.

بكاؤها كان طاقة الفرج التي فتحت على إبراهيم، فقد أخذ ذلك جزءاً كبيراً من اهتمام أمي لإرضائها ومصالحتها، وقد أدرك إبراهيم أنها هي (أمي) التي ضبطت مخبأه، فظل صامتاً في انتظار ما تبدأ به هي، التفتت إليه قائلة: ألم أقل لك أنك يجب أن تسافر من البلد للخارج؟ قلبي كان يحدثني طيلة الوقت أنك ستلقي بنفسك وبزوجتك وببنتك في الجحيم!!

ابتسم إبراهيم قائلاً: يا عمتي يبدو أنه عليّ أن أقول الآن ما حاولت طيلة سنوات ألا أقوله، اسمعي انت كذلك يا مريم وكنت قد وصلت وكان الباب مفتوحاً فناداني، فقال واسمع أنت كذلك يا أحمد، أنا اخترت طريقي وليس من اليوم بل من سنوات، اخترت طريقي من اليوم الذي سمعت فيه أن أخي "حسن" تزوج يهوديه ويسكن معها في تل أبيب، اخترت طريقي إلى طريق الجهاد والمقاومة، وسرت فيه وسأواصل السير فيه، ولن يمنعني من ذلك شيء، لذلك اخترت أن أدرس في الجامعة الإسلامية، وليس في أي جامعة أخرى، وغضب مني محمود يومها واخترت العمل في البناء في غزة على أن أذهب للوظيفة في السعودية أو الكويت، وتضايقت مني عمتي.